٥ - الديصانية

تنسب الديصانية إلى ديصان ، وقد سمى بديصان باسم نهر ولد عليه ، وهو قبل مانى ، والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وإنما بينهما خلاف فى كيفية اختلاط النور بالظلمة[١] ، وأيضا المانوية تقول النور والظلمة حيان ، أما الديصانية فتقول إن النور حى والظلمة ميتة[٢] .

وأصحاب ديصان يثبتون أصلين هما النور والظلمة ، والنور يفعل الخير قصدا واختيارا ، والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا ، وما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور ، وما كان من شر وضر ونتن وقبح فمن الظلام .

وقد زعموا أن النور حى عالم قادر حساس دراك ، ومنه يكون الحركة والحياة، والظلام ميت جاهل عاجز جماد لا فعل ولا تمييز ، وزعموا أن الشر يقع منه طباعا وحزقا ، وزعموا أن النور جنس واحد ، وكذلك الظلام جنس واحد ، وأن إدراك النور إدراك متفق ، وأن سمعه وبصره وسائر حواسه شىء واحد ، فسمعه هو بصره وبصره هو حواسه ، وإنما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب ، لا لأنهما فى نفسهما شيئان مختلفان وهو قول قريب من القول بنفى الصفات عند المتكلمين .

ولقد اختلفوا فى كيفية امتزاج النور بالظلمة ، وفى كيفية خلاص النور من الظلمة ، فزعم بعضهم أن النور داخل الظلمة ، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ ، فتأذى بها وأحب أن يرفقها ويلينها ، ثم يتخلص منها ، وليس ذلك لاختلاف جنسهما، ولكن كما أن المنشار جنسه حديد وصفحته لينة وأسنانه خشنة ، فاللين فى النور والخشونة فى الظلمة وهى جنس واحد ، فتلطف النور بلينه حتى يدخل تلك الفرج ، فى أمكنه إلا بتلك الخشونة ، فلا يتصور الوصول إلى كمال ووجود إلا بلين وخشونة .

وقال بعضهم بل الظلام لما احتل حتى تشبث بالنور من أسفل صفحته ،

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص٤٧٤ .

(٢) الرازى: اعتقادات المسلمين والمشركين ص١٣٨ .

فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويدفعها عن نفسه ، فاعتمد عليه فلجج فيه ، وذلك بمنزلة الإنسان الذى يريد الخروج من وحل وقع فيه ، فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجا فيه ، فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه والنضر بعالمه .

وقال بعضهم إن النور إنما دخل الظلام اختيارا ليصاحبها ويستخرج منها أجزاء صالحة لعالمه ، فلما دخل تشبث به زمانا ، فصار يفعل الجود والقبيح اضطرارا لا اختيارا ، ولو انفرد بعالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض والحسن البحت[١] .

وقد ذكر ابن الجوزى عن يحيى بن بشر النهاوندى ، إن الديصانية كانوا يقتلون الناس بخنقهم ، ويزعمون بذلك أنهم يخلصون النور والظلمة[٢] .

وقد ذكر ابن النديم انتشار الديصانية ، فقال بأن أصحاب ديصان كانوا قديما بنواحى البطائح ، وبالصين وخراسان أمم منهم يتفرقون ، لا يعرف لهم مجمع ولا بيعة ، ولابن ديصان كتاب النور والظلمة ، كتاب روحانية الحق ، كتاب المتحرك والحجار[٣] .

ويذكر البيرونى أن الديصانية مثل المرقيونية وسط بين المجوسية والنصرانية ، فلقد أخذ ابن ديصان طرفا من كلام زرادشت وطرفا من كلام عيسى ، وألف بينهما واستنبط مذهبا جديدا ، وأخرج إنجيلا جديداً نسبه إلى المسيح وكذب ما عداه[٤] .

ولقد عرف المسلمون الديصانية ، وقد كانت هناك مناقشات بينهم وبين أوائل المعتزلة أمثال النظام ، ونجد دروداً من الماتريدى على أقوالهم .

* * *

(١) الماتريدى: التوحيد ص١٦٣ ، ١٦٤ ، والشهرستانى : الملل والنحل جـ ٢ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٤٥ . (٣) ابن النديم الفهرست ص٤٧٤

(٤) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢٠٧